# المرأة والعمل الإسلامي

**إن الإسلام منهج إلهي شامل للحياة شرعه للناس كافة خالق الكون ومالكه ومدبره جل في علاه ؛ وذلك من أجل تحقيق مصالح الحياة وتنظيمها تنظيما يتوافق وما يرضيه الخالق سبحانه وتعالى ؛ رحمة للعباد وعمارة للبلاد ، وتتوقف إقامة هذا الشرع العظيم على قيام أتباعه بالدعوة إليه ؛ فهذا العبء الشريف يقع على عاتق كل مسلم رجلا وامرأة ، وقد تكون فكرة إشراك المرأة المسلمة في العمل الإسلامي غير ضرورية لدى بعض الناس ، وذلك لبعدهم عن المنهج السوي؛ فمن ثم نحاول من خلال هذا البحث المتواضع أن نوقف القارئ الكريم ونسلّط الضوء على أهمية هذا الموضوع؛ حتى يكون الناس على بينة من أمرهم ، ودراية بدينهم ؛ وحتى تتبوأ المرأة المسلمة مكانتها اللائقة بها ، بالقيام بهذا الواجب الشريف المشرِّف في آن واحد. إن تاريخ الإسلام العريض المجيد لحافل بقيام المسلمات بدورهن في هذا المجال الذي لا يزال في حاجة ماسة إلى العناية الجيدة بها ، وخاصة في عصرنا هذا ؛ لغياب الكثير من المسلمات عن هذه الساحة الخصبة من جهة؛ ولإهمال أشقائهن الرجال لهن إهمالا شديدا من جهة أخرى، مع أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، وأن دينهم يدعوهم لذلك ، ومع أن رسولهم (ﷺ) الذي أرسل إليهم رحمة للجنسين بل للعالمين، وقد قال : "إنما النساء شقائق الرجل".**

***

وقد توصلت الدرسات التي أجراها علماء التشريح والحياة، وعلماء النفس والتربية ، إلى أن هناك فروقا بين الرجل والمرأة ، ولم تكن هذه الفوارق في الجسم وحده ، بل حتى في العقل والوجدان أيضا.[1] بيد أن هذه الفوارق هي فوارق تكامل ، لا فوارق تفاضل، وتفاوت«ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت»[2]؛ فهي حقيقة كبرى وسنة من سنن الباري جل وعلا ، بل إن الزوجية هي من معين الفطرة ، وأصل الخلقة ، وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعا وللمخلوقات كافة،[3] فنظام الأسرة في المنظور القرآني ، هو النظام الطبيعي الفطري ، المنبثق من أصل تكوين الأشياء كلها.[4]

ويقصد من هذه الزوجية انتظام الحياة وتكاملها ؛ ومن ثم فقد اقتضت حكمة صانع الكون – وهو الذي أتقن كل شيء وهو أحكم الحاكمين – أن يجعل لكل من الرجل والمرأة

---

[1] انظر : المرآة من خلال الآيات القرآنية، عصمت الدين كركر حرم الهيلة (تونس: الشركة التونسية لتوزيع ط 2 / 1986م ) ص 19-33 ؛ والإسلام يتحدى ، وحيد حان، تر: ظفر الإسلام خان (بيروت: دار البحوث العلمية) ط 3/ 1979م) ص 169؛ والمرأة في القديم والحديث، عمر رضا كحالة (بيروت: مؤسسة الرسالة ط 1/ 1979م) ض 1:7-22.

[2] الآية 67 من سورة الملك.

[3] المرأة في ظلال القرآن عبد المنان الطيبي (القاهرة: دار الفضيلة ط 1992م) ص 11.

[4] نفس المصدر ص 12؛ وانظر للتوسع روح القرآن الكريم (تفسير جزء والذاريات) عفيف عبد الفتاح طبارة (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية) ص 35.

وظيفته الخاصة واللائقة به ، كما رسمه الدين الحنيف الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين ( )، وهو الذي أنزل لتصحيح كل انحرافات ، وإعادة الأمور إلى مسارها الصحيح ، فضلا من الله ورحمة للعالمين.

**وفي واقع الأمر** كان اليهود أول من بث سم المساواة في الغرب وهم يعتقدون زيف هذا المبدأ، وما يترتب عنه من مشكلات وويلات؛ فمما جاء في البروتوكلات الأول : «**وكنا** قديما أول من ارتفع صوته في الناس الحرية – **الإخاء** – المساواة، وهي كلمات ما زالت ترددها منذ ذلك الحين ببغاءات جاهلة مجتمعة ... إنهم لم يلاحظوا أنه لا مساواة في الطبيعة، وأن الطبيعة [؟] قد خلقت نماذيج مختلفة في العقل ، والتفكير، والشخصية، والآخلاق، **والطاقة». وجاء في البرتوكلات الحادي عشر:** «لقد خدعنا الجيل الناشيء من الأمميين ، وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مباديء ونظريات معروفة لدينا زيفها التام».[5]

ومن البديهيات أن كل المجتمعات في الشرق والغرب كانت قبل ظهور الإسلام في انحرافات شديدة في شأن المرأة[6] ، نتيجة لفساد الطباع وانهيار الأخلاق ، لدرجة أن هذا العهد سمي بالجاهلية ، بل إن بعض الشعوب الأوربية ظلت تهضم حقوق المرأة حتى في العهود الأخيرة[7].

وقد سما الإسلام بالمرأة بناء على رسالته الأساسية المتثلة في تتميم مكارم الأخلاق ، التي هي لب هذا الدين وعنوان تقدم الأمم وتحضرها ، وسر بقائها **واستمراريتها**.

هذا، وفيما يلي **بعض النصوص في مكارم الأخلاق:**

> **فقد روى** البيهقي **أن النبي** ( ) **قال «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**: .**والبر** الذي هو كلمة جامعة لمعاني الدين قال عنه النبي ﷺ: «**البر حسن الخلق**»، **رواه مسلم.** وقد وصف الله عز وجل نبيه ﷺ وأثنى عليه بحسن الخلق، فقال جل وعلا: «**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**» **(سورة القلم:4)**. ومن الأحاديث الواردة في حسن الخلق ـ وهي كثيرة ـ ما **رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا أن معاذ بن جبل قال** :آخر ما أوصاني به رسول الله

---

[5]بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، شوقي عبد الناصر (لا ب: لا نط 3 لات) ص 62، 105.

[6]**انظر** : مثلا المرأة في القديم والحديث، مصدر سابق: الجزء الأول؛ والمرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي (بيروت: المكتب الإسلامي ط5 لات) ص 13، وما بعدها؛ والمرأة من خلال الآيات القرآنية ، مصدر سابق: ص 19 – 33؛ **والأسرة والمجتمع ، علي** عبد الواحد وافي (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر ط 8 لات) ص 140 ؛ ومقارنة الأديان، أحمد شابي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ط 3 1989م ) 3: 216 – 218 ؛ **وحضارة العرب ، مصدرسابق:** ص 406 – 408 ؛ المرأة ي الإسلام ، علي وافي (القاهرة: دار نهضة مصر ط2 ، لات) ص 29، 30، 43.

[7]انظر: المرأة بين الفقه والقانون، مصدر سابق: ص 210- 212 ؛وعلى طريق العودة إلى الإسلام، محمد سعيد رمضان البوطي (بيروت : مؤسسة **الرسالة**ط 3 1983م) ص 175.

ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن قال: «أحسن خلقك للناس يا معاذ». **وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن أن النبي قال**« :إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» ، **وقال** : «**إن من أحبكم إلي** وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»**رواه الترمذي** .وقال صلى الله عليه **وسلم**: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»**رواه أصحاب السنن. وبإمكان أي أن** يقف على **كتاب من كتب السنة** سيجد المزيد فكلها أفردت بابا أو كتابا لحسن الخلق.[8]

**وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا**

ومما رفع الإسلام به من شأن المرأة ، عنايته بها عناية كاملة في جميع أطوار حياتها، بدءا من عهدها في ظلمات ثلاث ، حتى فيما بعدها من المراحل. وتشمل هذه الرعاية جميع شؤونها وأوضاعها داخل الأسرة والمحيط الذي يحيط بها.

**ومن أجل** ذلك شرعت أحكام الأحوال الشخصية ، وأحكام المعاملات والمواريث، وغير ذلك من الأحكام التي تتعلق بالمرأة . وأصل هذه الأحكام موصول بالله سبحانه وتعالى مباشرة ، موصول بإرادته وحكمته ، ومشيئته في الناس ، ومنهجه لأقامة الحياة ، على **النحوالذي قدره وأراده لبني الإنسان** ؛ ومن ثم فهو موصول بغضبه سبحانه وتعالى **ورضاه** ، وعقابه وثوابه، وموصول بالعقيدة وجودا وعدما في حقيقة الحال.[9]

وبجانب هذه التي شرعت بخصوص المرأة ، نيط بها تكاليف وواجبات ، طبقا لأنوثتها وتحقيقا للحياة المتكاملة الكريمة على الكرة الأرضية.

ويأتي في مقدمة هذه الواجبات اهتمام المرأة بالشؤون البيتية والزوجية والأسرية، بما فيها إسعاد الزوج وتتبع سروره ورضاه،[10] ليسكن إليها ، فيستريح مما يواجهه من الصعاب والمتاعب في سبيل أداء رسالات الحياة المتنوعة ، حتى تكون خير عون له في تحقيق الآمال والطموحات ، وقد قيل إن وراء كل عظيم امرأة ، وتحظى بالثواب عند ربها عدل ما يناله الزوج في ميادين الكفاح.[11]

«**عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ** يَزِيدَ الأَنْصَارِيَّةِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَل ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَتْ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَنَا وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ ، وَاعْلَمْ - **نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ** - أَنَّهُ مَا مِنَ امْرَأَةٍ كَائِنَةٍ فِي شَرْقٍ وَلا غَرْبٍ ، سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ

[8] http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=54751
[9] المرأة في ظلال القرآن ، مصدر سابق : ص 14.
[10] انظر : الصفات المطلوبة في البنت والزوجة ،عكاشةعبدة المناه الطيبي (القهرة: دارالفضيلة ط 1990م ) ص 33.
[11] نفس المصدر ص 19

تَسْمَعْ بِهِ إلا وَهِيَ عَلَى مِثْل رَأْيِي ، إنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ إلَى الرّجَال وَالنِّسَاءِ ، فَآمَنَّا بِكَ وَبِالْهُدَى الَّذِي بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَإِنَّا مَعْشَرُ النِّسَاءِ مَقْصُورَاتٌ ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ ، وَحَامِلاتُ أَوْلادِكُمْ ، وَإِنَّكُمْ مَعْشَرَ الرّجَال فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ ، وَالْجَمَاعَاتِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، **وَإِن الرجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أَخْرَجَ حَاجا أَو مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا ، حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، وَغَزَلْنَا** أَثْوَابَكُمْ ، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلادَكُمْ ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الأَجْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟». **فَالْتَفَتَ النبي صَلى** اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ ، ثُمَّ قَالَ: «**أَسَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قط أَحْسَنَ فِي** مَسْأَلَتِهَا عَنْ أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ ؟». **قَالُوا** : «**وَاللَّهِ** مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إلَى مِثْل هَذَا».فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَيْهَا فَقَالَ: «انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ ، وَأَعْلِمِي مَنْ **خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَن حُسْنَ تَبَعل إِحْدَاكُن لِزَوْجِهَا** وَطَلَبِهَا مَرْضَاتِهِ ، وَاتِّبَاعِهَا مُوَافَقَتَهُ ، تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ» ؛ فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا»[12].

وفي الوقت نفسه تُعنى الزوجة بالشؤون الأسرية الأخرى مما يتعلق بالبيت وتربية الأولاد ، الذين هم الرصيد المستقبلي للأمة ، فـ«المرأة هي عماد الأسرة ومحورها الذي تدور في فلكه ، وإليها يرجع نجاح الأسرة وتماسكها ، فهي الرائدة والقدوة ، ومما لا شك فيه أن الأبناء يتعلمون من القدوة أضعاف ما يتعلمون بالتلقين والإلقاء».[13]

ولا يتعارض إشراف الزوجة على البيت وملحقاته مع قوام الزوج ، لأن مما يراد بالقوامة هو تنفيذ الأمور التي تم الاتفاق عليها بالتشاور من قبل أعضاء الأسرة ، وليس المراد بالقوامة السلطة القسرية التي لا تقبل التشاور.[14]

وإذا كانت مؤسسة الأسرة بصفتها خلية أو وحدة اجتماعية صغيرة لا تملك الرئاسة ، **التي لا** تستغني عنها الوحدات الاجتماعية المتفرقة ، فإن كل أعضاء الأسرة سيتصرفون كما يحلو لهم[15]

ثم تأتي الشؤون الاجتماعية المختلفة في المرتبة الثانية مما نيط بالمرأة ، وبخاصة المسلمات النابغات التي يفرض الصالح العام استغلالهن ليعدن بالنفع العام ، ويقمن بإسهاماتهن في هذه الحالة ، شريطة ألا تتعدى حدود الله وأحكامه ، التي يدخل فيها ستر ما يجب ستره ، من عورات النساء،[16] وغض البصر وغير ذلك .

---

[12] شعب الإيمان للبيهقي.
[13] نفس المصدر ص 8.
[14] الإسلام واتجاهات المرأة المسلمة المعاصرة (إند: 157) ص 45.
[15] انظر: الزواج وما يتعلق به، إدارة الوعظ والإرشاد (طرابلس: المطبعة الليلية لات) ص 90.
[16] انظر في شروط الحجاب مثلا : حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة للألباني ؛ وتفسير آيات الأحكام، للصابوني (بيروت عالم الكتب ط 1 1406هـ / 986م) 2: 419 - 421ز

ومن يقلب صفحات كتب السيرة النبوية،[17] **وكتب تراجم الصحابة**،[18] **وتراجم الأعلام** عبر التاريخ الإسلامي المديد،[19] سيقف على نماذج مشرفة في هذا المجال.[20]

وقد قامت تلك النماذج المشرفة بمختلف إسهاماتها البناءة باستضاءة النهج الإسلامي الأصيل ، الذي يفسح مجال العطاء والإبداع للرجال والنساء على حد سواء ، في الوقت الذي كانت فيه الغرب عامة والمرأة الغربية خاصة في ظلام حالك.[21]

إن ما جاء به الإسلام من التعاليم السامية التي ترفع من مكانة المرأة وتقدرها حق قدرها ، هو ما لم يأت به تشريع قديما وحديثا،[22] وذلك من الأشياء التي جعلت هذا الدين صالحا لجميع الأزمنة والأمكنة.[23]

«إن ما يدعيه الأفرانج من السبق إلى الاعتراف بكرامة المرأة ومساواتها للرجل **بطلل، بل الإسلام السابق**، وأن شرائعهم الدينية والمدنية لا تزال تميز الرجل على **المرأة**».[24] ويقول جستاف لوبون (ت 1931) : «إن الأوربيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المراة. والإسلام إذًا لا النصرانية هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه» ، «إنه أول دين **فعل ذلك**».[25]

**ثم أتي على العالم الإسلامي**- لعوامل كثيرة- حين من الدهر لم يعد المسلمون فيه يتمسكون بالعروة الوثقى ، كما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وقد أسيئت – بطبيعة الحال – معاملة المرأة حينئذ مع عدم غياب المسلمات الصالحات عن ساحة النضال غيابا كليا.[26]

---

[17]كالسيرة النبوية لابن هشام.

[18]مثل الإصابة لابن حجر ؛ والطبقات الكبرى ، لابن سعد ؛ والضوء اللامع لسخاوي ؛ ففي كل هذه الموسوعات جزء أو قسم يتناول المسلمت **البارزات في مختلف الفنون**.

[19]**مثل أعلام النساء ، لرضا كحالة، وتحتوي على خمسة مجلدات**.

[20]أنظر في ذلك أيضا: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، عبد الله العفيفي (بيروت: **دار الرشد العربي**ط 2 / 1402هـ - 1982م) 2: 85-185.

[21]انظر: الإسلام وحركة التاريخ ، مصدرسابق : ص 175.

[22]انظر : المرأة بين الفقه والقانون، مصدر سابق: ص 42-45 ؛ والنظم الإسلامية ، صبحي صالح (بيروت: مؤسسة الرسالة ط3 / 1403هـ-1983) ص 441.

[23]انظر: المرأة في القرآن والسنة، محمد عزت دروز (دمشق: دار الجيل ط2 / 1985م) ص 46 ؛ **والمرأة في الإسلام** (**إند**: 152) ص 32.

[24]تفسير المنار ، السيد محمد رشيد رضا (بيروت: دار المعرفة لا ت) 4:306.

[25]**حضارة العرب، مصدرسابق: ص** 402، 405. وانظرفي ذلك أيضا :الإسلام والمرأة، أحمد حسين (القاهرة: دار الشرق الأوسط للنشر، ط 1990م) ص 7.

[26]انظر: الإسلام وحركة التاريخ ، مصدر سابق : ص 463.

ومما جعل هذا الأمر يستشري تلك الحروب المتصلة والمحن التي شملت العالم الإسلامي ، خلال الغزو التتري المغولي ، ثم الغزو الصليبي ، ثم الغزو الاستعماري الأوربي[27] ، الذي أخضع الأقطار الإسلامية ، وقسمها إلى دويلات وإمارات ، تسهل للاستعمار فرض نفوذه فيها ، وتنفيذ مخططاته بصورة دقيقة مكثفة.[28]

فالأوضاع الأليمة التي كانت عليها المرأة المسلمة في الأزمنة الأخيرة هي نتيجة انحراف المجتمع الإسلامي عما سنه الإسلام من النظم والمناهج،[29] وخاصة في العناية بالنساء اللائي يرى الإسلام أنهن شقائق الرجال ، وأنهم قوامون عليهن ، لدرجة أن المسلمين متهمون من قبل غير المسلمين بهضم حقوق النساء التعليمية ، بحيث عبر عن ذلك صاحب المنار بقوله : نعم إنهم يحتجون على المسلمين بالتقصير في تعليم النساء وتربيتهن، وجعلهن عارفات بما لهن وما عليهن ، ونحن نعترف بأننا مقصرون تاركون لهداية ديننا ، حتى صرنا حجة عليه عند الأجانب وفتنة لهم.[30]

وقد أثرت – بدون شك – تلك الأوضاع السيئة للمسلمات تأثيرا سلبيا على المسلمين وأبنائهم لتعطل الدور الذي ينبغي أن يؤدين داخل الأسرة وداخل المجتمع.[31]

وبقدر ابتعاد المجتمع الإسلامي عن الجادة ، فقد اقترب مما روجه التيار المعادي للإسلام من أفكار واتجاهات قد تبدو عند النظرة السطحية أنها تحمل الخير والرحمة ، وباطنها من قبلها العذاب ، فكأنها تعطي دواء الشفاء من الفم ، وتحقن السم من العضل.

***

في شكوى الغربيين مما وصلت إليه الحضارة الغربية البراقة الخادعة في شأن المرأة، انظرمثلا: المرأة بين الفقه والقانون؛[32] وعلى طريق العودة إلى الإسلام.[33] وما جاء

---

[27]انظر: الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين، عبد الكريم الخطيب (بيروت : دار الشروق ط4 / 1402هـ - 1982) ص 136.

[28]بالتعاون مع مختلف الجهات ، متعددة اسما، ومتعددة هدفا، وهو القضاء على الإسلام الأصيل، وتشمل هذه الجهات: الحركات التبشيرية والاستشراقية والصهيونية وكل عساكرها. وإن ما من أفواههم من سوء النوايا – مثل بروتوكولات حكماء صهيون ، والآثار العلمية للمستشرقين المغرضين ، لأكبر ديل على فساد طواياهم ، وما تخفي صدورهم أكبر، والله المستعان.

[29]انظر: المرأة في الإسلام، على وافي ، المصدر السابق ص 28.

[30]تفسر المنار، المصدر السابق: ص 4 : 306.

[31]انظر :المرأة بين الفقه والقانون، مصدر سابق : ص 37، 165.

[32]مصدرسابق: ص 175-184

[33]مصدرسابق : ص 180-181 ؛ والتنصير خطة لغزو العالم الإسلامي الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر (كولورادو) التنصيري سنة 1978م (بيروت : مركز دراسات العالم الإسلامي لاط لات) ص 867.

في بعض ما كتب هؤلاء خير شاهد على ذلك ، حيث قالت مندوبة مسيحية في المؤتمر ما نصه : «اعتبر كثير من الإنجيليين أن تفوق النصرانية أمر يمكن ملاحظته بوضوح، وخاصة في عالم الأخلاق والقيم ... أما في الوقت الحاضر – وفيما لا يزال معظم الناس في جميع أنحاء العالم يقرون التفوق التقني للحضارة الغربية – فإن هذا التفوق على مستوى الأخلاق مشكوك فيه ، ومحل التساؤل . واليوم وعلى ضوء الواقع الحالي في تفكك الأسرة في مجتمعنا الغربي ، وارتفاع معدلات الجرائم ، وحالات الطلاق والزيادات المستمرة في الانحرافات الجنسية ، لم يبق لنا إلا القليل الذي نفخر به».[34]

وعن ارتفاع نسبة الطلاق في أوربا والاتحاد السوفياتي سابقا ، انظر مثلا : المساجلات والمعارك الأدبية ؛[35] والإسلام يتحدى؛[36]والإسلام واتجاهات المرأة المسلمة المعاصرة[37]. بل قد مسخت المرأة الأوربية المسترجلة بإطلاق الجنس الثالث عليها على ألسنة الأوربيين أنفسهم.[38] وجاء في «الإسلام يتحدى» أن « أي مجمع يقوم على مساواتهما [؟] سوف يسبب خرابا ودمارا للحضارة البشرية»ص 162. وحول أقوال الغربيين في إنصاف الإسلام وتقديره للمرأة، انظر مثلا«المرأة بين الفقه والقانون».[39]

***

وقد اتفق في إبان نعرة تحرير المرأة في أوربا في القرن التاسع عشر، أن نعرات أخرى في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والخلقية والسياسية كانت قائمة،[40] فما يسمى بتحرير المرأة لم يكن حتما يأخذ نفس الصورة في العالم الإسلامي، حيث لم توجد تلك الظروف على الإطلاق،[41] لأن ظروف أوربا آنذاك تخالف تاريخ الإسلام في مطالعه ونهايته، كما تخالفه في مجراه.[42]

---

[34] نفس المصدر.
[35] مصدر سابق: ص 369 وما بعدها.
[36] مصدر سابق: ص 168، 170 .
[37] مصدر سابق: ص 10 .
[38] انظر: المرأة بين الفقه والقانون، مصدر سابق: ص 177 ؛ وحصوننا مهددة من داخلها ، محمد محمد حسين (بيروت: مؤسسة الرسالة ط7 / 1402هـ - 1982م) ص 81.
[39] مصدر سابق: ص 213-218.
[40] المساجلات والمعارك الأدبية ، مصدر سابق: ص 308.
[41] هل نحن مسلمون ، محمد قطب (القاهرة: مكتبة وهبة بعابدين ط 2 لات) ص 167.
[42] انظر: المرأة في القرآن ، عباس محمود عقاد (القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر لا ت) ص 136 .

إن الذين يشكون من حقوق المرأة في العصر الحاضر ، لا يشكون أبدا من الشريعة الإسلامية ، بقدر ما يشكون من عدم تطبيقها،[43] حيث إن العز والمجد في تطبيق شرع الله وأحكامه كافة، ولن يكون ذلك إلا إذا استجاب الرجال قبل النساء.[44] وقد سجل التاريخ الإسلامي قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».[45]

ولعوامل داخلية وخارجية متنوعة استحسنت الأفكار الدخيلة ، فأصبح المسلمون رجالا ونساء وخاصة أصحاب النفوذ والسلطان – إلا من رحم الله – شرقيين أصولا غربيين عقولا ، وذلك غاية في الخطورة ؛ لأن استعمار القلوب أقوى أنواع الاستعمار، وأشدها خطرا، وأفتكها بكيان الأمة.[46]

هذا، ولم تستثن المرأة المسلمة بإندونيسيا (Indonesia) من هذا الوضع الأليم بصفتهاجزءا من الأمة الإسلامية ، وإن لم نقل إن وضع مسلمات إندونيسيا كان أسواء مما عليه بعض أخواتهن في بعض البلدان الإسلامية ، وذلك يرجع إلى ظروف كانت تحيط بإندونيسيا، في مقدمتها الاستعمار الطويل وسلبياتها المتنوعة.

بيدا أن الإسلام – وهو الرسالة الخاتمة الخالدة الشاملة – لا يصيبه ما أصاب الأديان السابقة من الترهل والضعف المؤدي إلى الانحلال،[47] ذلك أن القدرة على الخروج من دائرة الضعف والتخلف ، بالتماس جوهر القيم الأصلية بات من أبرز مزايا التاريخ الإسلامي ؛ فكلما تحول منهج الفكر واضطرب ، ظهر مصلح مجدد يرد إلى الجادة ، باسترشاد صميم تعاليم هذا الدين فالتاريخ الإسلامي يعيش بين التحدي ورد الفعل.[48]

وتأسيساعلى هذا الواقع التاريخي ، ظهرت في إندونيسيا المسلمات الرائدات المصلحات ، وهن قد لمسن خطورة الوضع الذي أصيب به النساء في هذا القطر الإسلامي.

---

[43] انظر : الشريعة الإسلامية ، عبد الحليم الجندي (القاهرة : دار المعارف ط 978م ) ص 31.

[44] مقدمة «حجاب المرأة المسلمة» مصدرسابق.

[45] http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=39862>

[46] انظر : قولي في المرأة ، مصطفى صبري (بيروت : دار الرائد العربي ط 2/ 1402هـ 1982م) ص 68.

[47] التجديد في الإسلام، محمد الشاذلي النفير، في «الدين والمجتمع» وزارة الشؤون الثقافية (تونس : الدار التونيسية للنشر ط 1398هـ - 1978م) ص 21.

[48] انظر : الإسلام وحركة التاريخ ، مصدر سابق : ص 479.

وفي مقدمة هؤلاء داعية ومربية ظهرت بغربي جزيرة سومطرة الخلابة.ومن هؤلاء الرائدات الداعية المربية التالية:

الشيخة رحمة اليونسية (ت1969م).

وهي مربية وداعية من غربي سومطرة أسست ما يسمى بـ«المعاهد الدينية للبنات» التي تعد أبرز المؤسسات التعليمية للبنات في الأرخبيل ؛ فقد زار هذه المؤسسة شيخ الأزهر سنة 1955م ، وإثر ذلك اسعدعيت هذه المربية إلى مصر ، ومنحتها جامعة الأزهر لقب «الشيخة» ؛ تقديرا لخدمتها الإسلامية التعليمية والاجتماعية والسياسية ، ولهذه المؤسسة التعليمية إسهام وافر في العمل الإسلامي ماضيا وحاضرا وطنيا وإقليميا.[49]

ولم تكن الطريق أمام هذا المشروع العظيم ممهدة ؛ فقد لاقت الشيخة عدة عراقيل وعقبات أهماالمشكلة السياسة المفروضة من قبل الاستعمار الهولندي الذي كان يضع العديد من العوائق على طريق الأعمال الإسلامية، والمشكلة الاجتماعية الداخلية من قبل من يسمون بـ« أنصارالعادات والقاليد» الذين كانوا يرون أن لا جدوى من خروج المرآة إلى المدرسة ؛ لأن وظيفتها على حد زعمهم إنما هي إعداد الطعام ؛ فلم لا تتوجه إلى المطبخ رأسا ، بل كان هؤلاء يسخرون من جهود الشيخة التعليمية الإصلاحية ويستهزؤون.

كما واجهت الأستاذة عائقا ماديا ؛ فقد اضطرت إلى بيع حليها لسد تكاليف المؤسسة الناشئة. بيد أن الشيخة وهي في مواجهة تلك العوائق أبت إلا تعلو كلمة الله؛ لأنها كان على بينة من الرسالة السامية التي تؤديها ، كما تمتعت بقوة الإرادة وصلابة العزيمة ، وكان لأخيها لاباي إسهام وافر أيضا في دفع الشيخة إلى حمل هذا العبء.

***

فقد انطلقت أعمال هؤلاء الداعيات في مجال الدعوة والإرشاد ، داخل المؤسسات والجمعيات الإسلامية ، مثلما انطلقت إسهامات سابقاتهن من المسلمات على امتداد التاريخ الإسلامي العريض في هذا لمجال ؛ تطبيقا لنداء المبدأ الإسلامي الأصيل القاضي بضرورة

[49] انظر : ذكرى خمسة وخمسين سنة للمعاهد الدينية للبنات.

مشاركة كل من المسلمين رجالا ونساء ، في مساعي الدعوة الإسلامية ، كما يفهم صراحة من مثل قول جل من قائل :

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم».[50]

هذا، ولم تُستَوح فكرة نهضة المسلمة الإندونيسية من الغرب إطلاقا، كما يزعم قصار النظر؛ فقد سبق الإسلام الغرب قرونا طويلة في تكريم المرأة المسلمة التي أثبتت كفاءتها وفاعليتها في أداء ما أنيط بها من العمل الإسلامي ، في الوقت الذي كان الغرب فيه في تخلف مزر ، حيث إن الأروبيين لديهم ما يسمى بمصطلح «القرون الوسطى» ، التي تعني لديهم رمزا للتخلف والهمجية والاستبداد ، مع أنها تقابل عندنا عصر البعثة المحمدية، الذي هو أزهى عصور الإسلام ؛لأنها عصر النور والمجد والعدل ، بل إن الغرب لم يقدم في واقع الأمر منهجا مدروسا لضمان حقوق المرآة ؛ فما يسمى بأجر المثل – على سبيل المثال – ظل غير مطبق في معظم الدول الغربية.[51]

فالمؤمنون «بينهم ولاية النصرة في الدفاع عن الحق والعدل وإعلاء كلمة الله[52] ؛ لأنهم جميعا كالجسد الواحد ، أو كالبنيان يشد بعضه بعضا ، كما أن الإسلام يرى أن الدين النصيحة ، أي أن يكون التناصح شعار المجتمع الإسلامي وديدانه ، يقوم به كل قادر عليه ، ويستجيب له كل محتاج إليه»[53] ، رجالا ونساء .

ويمكن أن يستدل – كذلك – على قيام المرأة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بما ورد في هذا الشأن من النص أو الخطاب الشرعي العام الذي لم تظهر فيه علامة للذكور والإناث ، فقد اتفق أن ذلك يتناول الذكور والإناث ، وزيادة على ذلك فإن بعض العلماء يذهبون إلى أن النص أو الخطاب الشرعي الذي صيغ بالجمع الذي ظهر فيه علامة التذكير ، ويصح إطلاقه على المختلط من الجنسين ، يذهبون إلى أنه يدخل فيه الذكور والإناث

---

[50]سورة التوبة الآية 71.

[51]انظر : المساجلات الأدبية ، مصدر سابق: ص 70-77؛ وعلى طريق العودة إلى الإسلام ، مصدر سابق: ص 181؛ والمرأة والعمل الوظيفي ، باقر الحسني (طرابلس : مجلة الحكمة ، كلية التربية، قسم الفلسفة والاجتماع،جامعة الفاتح ، العدد الرابع ، نوفمبر 1979) ص 211-212 .

[52]تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي (لا ب: دار الفكر ط 2 / 974لم) ص 4 : 159.

[53]موسوعة أخلاق القرآن ، أحمد الشرباصي (بيروت : دار الرائد العربي ط 1 / 1979) 4 : 205 .

وضعا[54]. أما دخول الإناث في شمول مثل هذا الخطاب حكما ، فمتفق عليه[55] . ويضاف إلى ذلك – كما ألمحنا – الأدلة الواقعية لإسهامات المسلمات في هذا المجال على طول التاريخ الإسلامي وخاصة في عصر الازدهار.

هذا، وبناء على ما عليه المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر من أوضاع متدهورة، حيث إن المناهج والتعاليم التي يتبعها هي خليط بين الأصيل والدخيل ، مع غلبة الثاني على الأول ؛ لكونه من الأفكار الخطيرة الحساسة ، ويغلب على الأصيل ما يرتبط بالقشور والفروع ، وذلك مما أدى إلى قلة فاعلية دور المرأة المسلمة أو ضياعه، في الأسرة والمجتمع ، على حين أن النساء غير المسلمات يحققن التقدم والإنجازات في الميادين التي ينبغي للمسلمات الخوض فيها ، وإن ذلك لمما يسيء إلى الإسلام والمسلمين ، والنساء غير المسلمات أيضا يقمن بدورهن بصورة إيجابية مكثفة في أداء الرسالة المعادية للإسلام ، مثل التنصير[56].

وقد جاء في بعض المصادر المسيحية أنه «يجب تكوين مجموعات صغيرة من المتخصصين من الرجال والنساء من بقاع مختلفة ، من الشرق والغرب ؛ ليقوموا بدراسة عقيدتهم بعمق ، إضافة إلى دراستهم الإسلام ، واللغة العربية ، والذين لديهم خبرة في تنصير المسلمين في العقيدة النصرانية . إن مثل هؤلاء الناس يفضل أن يكونوا قد تخصصوا في الدراسات الإسلامية ، حتى مستوى الدكتورة»[57]. وأما على أرض الواقع فقد أعد أحد الدعاة الذين تردد على بيوتهم المنصرون كتابا بعنوان «حوار بين المنصر المسيحي والمنطق» (إند:135) ؛ فكان أغلب الذين جاءوا إلى بيت هذا المؤلف من النساء (55%) آنيسات وسيدات ، علما أن الأحداث التي ذكرها هذا الكتاب كانت في فترة ما بين مؤتمر مالانج (Malang) عام 1963م ومؤتمر كولورادو (Clorado) عام 1978م. ويزيد عدد المنظمات النسائية التابعة لاتحاد الكنائس الإندونيسي (PGI) وحده عن عشرين منظمة.[58]

---

[54]انظر : نهاية السول في شرح الأصول ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي (لا ب : عالم الكتب لا ط) 2: 350-363 ؛ والإحكام في أصول الأحكام ، على بن محمد الآمدي (بيروت : دار الكتاب العربي ط 2 / 1406هـ - 1986م) 2 : 363.

[55]انظر : نهاية السول ، مصدر سابق: 2 : 363.

[56]انظر : الغارة التنصيرية على العالم الإسلامي، محب الدين الخطيب (الدار السعودية للنشر ط 2/ 1387هـ) ص 63.

[57]انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، مصدر سابق ص 664 ، مع بعض التصرف.

[58]انظر : التعب والكفاح (إند: 150) ص 246 – 247.

وبناء على ذلك كله يمكن أن يقال إن الدعوة الإسلامية اليوم أصبحت من الفرائض العينية[59] ؛ فعلى كل المسلمين رجالا ونساء أن يسهموا في مساعي الدعوة بالأقول والأقلام، وبالأعمل والأموال ، قد نادى بضرورة إشراك المسلمة في العمل الإسلامي الملتقى الثاني لخريجي كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس 1988م).

هذا، وقد جاء في بعض توصية هذا الملتقى العالمي ما نصه«التأكد على الدور الفعال والمهم للمرأة المسلمة في مجال الدعوة الإسلامية ، وإفساح المجال أمامها للمشاركة الإيجابية.»[60]. أما في أرض الواقع فقد شاركت مسلمات إندونيسيا في العمل الإسلامي – كما تقدمت الإشارة إليه – إخوتهن الرجال ؛ تلبية لنداء التعاليم الإسلامية الأصيلة الغراء ، وتآسيا بإخواتهن من جيل النبوة ، وجيل السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان.

هذا، وخلاصة القول قد أتضح مما سبق أن إشراك المرأة المسلمة في العمل الإسلامي هو من صميم التعاليم الإسلامية الغراء ؛ فقد تساندت في ذلك نصوص كثيرة وتضافرت ، وهذا مما جعل المسلمات البارزات أن يقفن مع أشقائهن الرجال على امتداد التاريخ الإسلامي العريض المجيد؛ لإيمانهن ويقينهن بأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض كما جاء في ذلك نص قرآني قطعي الدلالة ؛ ومن ثم فقد ألف المهتمون في هذا المجال أسفارا وموسوعات تمت الإشارة إلى بعضها فيما سبق ؛ فما على علماء الأمة الإسلامية ودعاتها ونحن في عصر الفتن والتحديات إلا أن يسعوا في توعية وتفهيم الناس هذا المبدأ السامي ؛ حتى يكون الناس على بينة من أمر دينهم بإذن الله وتوفيقه. فليس علينا إلا أن نستهدي بما كان عليه سلفنا الصالح، كما جاء في التنزيل الحميد«أولئك الذين هداهم الله فهداهم اقتده...» [من سورة الأنعام : 90] ،«قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني... »[من سورة يوسف:108]، وكما نبهنا إليه الفاروق رضي الله عنه«نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»[61]. و لله الموفق.

---

[59]وقد قال بذلك بعض الكتاب المعاصرين ، انظر مثلا : على طريق العودة إلى الإسلام ، مصدرسابق : ص 16؛ ومن ثم فإن فرضية طلب العلم على المسلمات خاصة واجبة اليوم مائة مرة بأكثر مما كان عليه بالأمس.

[60]أعمال الملتقى الثاني لخريجي كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس : كلية الدعوة الإسلامية طة 1 / 1985) ص 434. (أي البند السادس عشر من توصيات الملتقى).

[61]http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=27638